اسم المادة: الودود - المقيت - النصير - الوارث□

من سلسلة: الحسنى□

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري□

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى اللّه

اسم المادة: الودود - المقيت – النصير – الوارث
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-170589.htm

الودود

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.. أسعد الله أوقاتكم أحبتنا الكرام.

في الصحيح من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إن الله –تعالى– إذا أحب عبدًا قال لجبريل –عليه السلام–: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل –عليه السلام–، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[1] أغمض عينيك لحظة وتخيل أنك من أصحابها، بل خذ الأخرى كما أخرج البخاري من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "يَدْنُو أحَدُكُمْ مِن رَبِّهِ –يعني يوم القيامة– حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عليه، فيَقولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ، ويقولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا، فيَقولُ: نَعَمْ، فيُقَرِّرُهُ –بذنوبه–، ثُمَّ يقولُ: إنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، فأنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ" سبحان ربنا الودود –جل في علاه–.

"وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" هود٨٩:٩٠

في موضعين من كتاب الله الكريم جاء اسم ربنا الودود –سبحانه وتعالى– وكم لهذا الاسم من خفقان للقلب حبًا ورغبةً وإقبالًا وتعلقًا على ربنا الودود –جل في علاه–:

في قوله –سبحانه وتعالى– على لسان شعيب –عليه السلام–: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" يدعو قومه إلى المغفرة، يدعو قومه إلى الاستغفار وطلب الرحمة وهو يفتح لقلوبهم هذا المعنى بهذا الاسم الكريم.

وأما الموضع الآخر ففي قوله –تعالى–: "وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ" البروج ١٤:١٥، الودود من الفعل وَدَّ، والمودة في أصلها بمعنى المحبة كما نقل ابن العربي –رحمه الله تعالى–: اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة، إنما الفرق بين الود والحب أن الحب ما استقر في القلب، وأما الود فهو ما ظهر من آثار هذا الحب في التصرفات والسلوك.

ربنا –سبحانه وتعالى– ودود يحب عباده ويلطف بهم ويكرمهم ويحسن إليهم، يحب عباده الصالحين ويحب توبتهم ويحب طاعتهم ويحب استغفارهم ويحب انكسارهم.

[1] روايات الحديث هنا

هو ودود –جل جلاله– يتودد إلى عباده بالنعم، يتودد إليهم بالرحمة والعفو والمغفرة، يتودد إليهم ويباهي بهم ملائكة السماء في مواقف الذل والخضوع والعبودية التي يُظْهِرون فيها فقرهم وانكسارهم، كما يكون في صعيد عرفات، وكما يكون في ثلث الليل الآخر حين يدنو –سبحانه وتعالى– كما يليق بجلاله إلى السماء الدنيا فيقول: "هل من داعٍ فأستجيب له" ربنا الودود –سبحانه وتعالى– الذي يقابل ود عباده ومحبتهم؛ بمودته ومحبته –سبحانه وتعالى–.

تالله كم في هذا الاسم الكريم الودود من معنى يملأ القلب حبًا وحنانًا وشوقًا وإقبالًا على الرب الكريم، كم هو عظيم أن يكون لنا رب رحيم ودود، أن يكون لنا رب غفور.

ولما اقترن اسم الودود في القرآن بالرحيم في موضع وبالغفور في موضع؛ فإنما لندرك أنها المحبة التي تحمل في أكنافها الرحمة والمغفرة لعباده –سبحانه وتعالى–.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "الودود هو الرحيم". وقال البخاري –رحمه الله–: "الودود هو الحبيب".

اسمعوا إلى ما قال ابن القيم –رحمه الله–: "ليس العجب من مملوك يتذلل ويتعبد لسـيده وربه وخالقه، ولا يمل من ذلك مع فقره وحاجته إليه"، يقول: "إنما العجب من ملكٍ عظيم وخالقٍ يتودد إلى عباده مع كمال غناه، ويغدق عليهم بالنعم". يقشـعر البدن في اسـتشـعار هذا المعنى ونحن ننظر إلى اسم الودود –سبحانه– وهو يقطر ودًا ورحمةً وحبًا.

ومن أعجب ما في ذلك أن محبة الله لعباده تسبق محبة العباد لربهم –سبحانه وتعالى– كما قال –جل جلاله–: "فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" المائدة:٥٤. إن ربنا الودود –جل جلاله– من وده بعباده أنه لا يزال يغدق بالنعم مع تقصـيرنا، مع ذنوبنا، بل تنزل نعمته –جل جلاله– بالمذنب وهو قائم على الذنب، وهو واقع في المعصية، وهو يخالط الخطيئة ويقترفها، ولا يرفع النعمة عنه.

من تمام وده بعباده أرخى لهم الستر وفتح لهم الباب وأذن لهم بالتوبة، فإذا تابوا فرح بتوبتهم مع غناه –جل جلاله–.

انظروا كيف استدر نبي الله شعيب –عليه السلام– عاطفة القلوب وهو يدعو قومه إلى التوبة والاستغفار قال: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" هود:٩٠. يجعل من اسم الودود شيئًا يخالط المشاعر فتلين، والعين فتدمع، والقلب فينكسر، والفؤاد فيأتي إلى الله –عز وجل–.

نعم؛ أسرِع وأقبل عبد الله إلى رب ودود يحبك فهل تحبه؟ يود لك الخير والإحسان والجنة والنعيم المقيم أفلا يستحق أكمل الحب –جل جلاله–؟ بلى والله، إن ربنا الودود –سبحانه وتعالى– جعل هذا الاسم لنا معشر العباد من أجل أن يكون مَعلمًا نعيش في ظلاله ونتفيأ من معانيه ونتقلب في أكنافه ما يحملنا على أن نملأ القلوب حبًا.

انهض عبد الله واجعل حب الله قائدك فإن ربك ودود –سبحانه وتعالى–، ومهما تكاثرت بك الخطايا وتراكمت عليك الذنوب والسيئات فانفضها عنك إيمانًا بربك الودود.

وربك الودود كلما أحببته وجدت من وده ومحبته –سبحانه– ما تعيش بها والله سعادة في دنياك ونعيمًا لا تتخيله الأبصار ولا يمكن أن يخطر بالبال يوم أن تلقاه –سبحانه وتعالى–. فسبحان ربنا الكريم الودود نسأله من لطفه ورحمته ووده ما نعيش بها سعادة حتى نلقاه، ويوم نلقاه في الجنان.

المقيت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في كتاب التوابين لابن قدامة –رحمه الله– أن الأصمعي لقي بالبصرة رجلًا من الأعراب على قاعود له، فقال له: ممن أنت؟ قال الأصمعي: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قال نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قال: أقبلت من مكان يتلى فيه كلام الرحمن وقد كان خارجًا من مسجد البصرة، فقال الأعرابي: وهل للرحمن كلامٌ يتلوه الآدميون؟ قال الأصمعي: نعم. فقال الأعرابي: أسمعني شيئًا منه، قال الأصمعي: انزل عن قاعودك فنزل، فتلا عليه سورة الذاريات حتى بلغ قول الله –سبحانه–: "وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" الذاريات:٢٢، فالتفت الأعرابي وقال: هذا كلام الرحمن؟ قال الأصمعي: أجل والله إنه كلامه الذي أنزله على رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فصاح الأعرابي متعجبًا ثم استوقفه وقال: حسبك، ثم نحر بعيره وقطع لحمه مفرقًا إياه بجلده، وقال: أعني على تفريقه، قال: فجعلنا نوزعه على من أقبل ومن أدبر حتى نفذ، ثم ولَّى الأعرابي مدبرًا نحو الصحراء وهو يردد: "وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" الذاريات:٢٢، قال الأصمعي: فلمت نفسي لم أنتبه لما انتبه له الأعرابي، قال: فحججت مع الرشيد حتى إذا دخلنا مكة ونحن حول الكعبة سمعت هاتفًا من خلفي بصوت نحيل، فالتفت فإذا هو صاحبي الأعرابي نحيلاً مصفرًا فدعاني فأتيته، فأخذني خلف المقام وقال: أسمعني كلام الرحمن، قال: فتلوت عليه سورة الذاريات حتى بلغت "وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" الذاريات:٢٢، قال الأعرابي: إي والله لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، قال: أو غير ذلك؟ قلت: نعم، فتلوت الآية التي بعدها: "فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ" الذاريات:٢٣، فدهش الأعرابي وقال: سبحان الله من الذي أغضب الله حتى يقسم؟ من الذي أغضبه؟ فمازال يكررها: "وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" الذاريات:٢٢.

"مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً" النساء:٨٥

في موضع واحد من القرآن فقط جاء اسم الله –سبحانه وتعالى– المقيت، "مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً" النساء:٨٥

المُقيت على وزن مُفعِل، من الفعل أقات، واختلف في معناها، فقيل المُقيت يعني معطي الأقوات، وقيل معناه المقتدر، وقيل معنى المُقيت القائم على الشيء والمدبر، وقيل بمعنى القدير.

الفعل قات يقوت من القوت، وهو من الرزق ما يسد الرمق، قال الزجاج –رحمه الله– الاسم المُقيت إذا كان من معنى أقات على الشيء فيكون بمعنى اقتدر وهو بهذا صفة ذات، أما إذا جاء بمعنى أعطى القوت فيكون صفة فعل، وقيل المُقيت بمعنى الشهيد والحافظ والرقيب –سبحانه وتعالى–.

إذا نظرنا إلى اسم المُقيت –سبحانه–، وهو في أحد دلالاته من يعطي القوت –سبحانه–، فالأمر كما قال الغزالي –رحمه الله تعالى– المقيت الذي يخلق الأقوات ويعطيها لعباده ويوصلها إليهم فيوصلها إلى أبدانهم وهي الأطعمة، ويوصلها إلى قلوبهم وأرواحهم وهي المعرفة فيكون قريبًا من معنى الرزاق بهذا المعنى، إلا أنه أخص؛ فإن الرزاق بمعنى أنه يرزق القوت وغير القوت فقد يكون الرزق خُلق، وقد يكون علمًا، وقد يكون ولدًا، وقد يكون شيئًا آخر، فإذا جعلنا المُقيت بمعنى من يعطي القوت وهو ما يسد الرمق من الرزق كان أخص من معنى الرزاق. ولأننا

نقرأ في كتاب الله اسمًا من أسمائه فحريٌ بنا أن نقف على معناه لنتعبد لله –عز وجل– به، وفي صحيح البخاري أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان من دعائه "اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتا".

يقول الله –سبحانه وتعالى–: "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ" فصلت:١٠، سبحان المُقيت سبحانه، كم عدد البشر الموزعين اليوم على أنحاء هذه الأرض البسيطة؟ المليارات التي تتناثر على وجه الكرة الأرضية اليوم، من قدّر أقواتها؟ من يرزقها وهم متناثرون في العواصم والمدن والقرى، في الأدغال على رؤوس الجبال وفي بطون الأودية؟

دعك من البشر؛ أين أنت عن ملايين الأطنان من الأسماك والحيتان وسائر مخلوقات البحار؟ من الذي قدر أقواتها؟ المُقيت –سبحانه وتعالى– فضلاً عن الطيور في أعشاشها والفراخ في أوكارها، الوحوش والسباع في الغابات، سبحان المُقيت –سبحانه وتعالى–.

إن جزءً من إيماننا باسم المُقيت –سبحانه– ونحن ندرك معناه أن نلتزم الأدب، فعيب والله على عبد أن يقتات على أمر حرمه الله –جل جلاله– أيرزقنا القوت ويفتح لنا أبواب الحلال ويقدر لنا الأقوات ثم نبتغي شيئًا من القوت في أمر حرمه على العباد؟ أما إن المؤمن بالمُقيت –سبحانه– فيطلب القوت والرزق من الله –جل جلاله–، وفي دعاء الخليل إبراهيم –عليه السلام– لما جاء بهاجر وابنه الرضيع إسماعيل –عليه السلام– فأودعهما ببطن هذا الوادي بمكة قال: "رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" إبراهيم:٣٧، هذا هو يقين الأنبياء وتوكلهم –عليهم السلام– وفي دعاء النبي –عليه الصلاة والسلام– اللهم ارزق آل محمدًا قوتا.
إن دعاءنا وطلبنا للرزق من المُقيت –سبحانه– وطلبنا للقوت الذي نقتات عليه وابتغاءنا للحلال واقتصارنا على الطيب منه مما أباح الله جزء من إيماننا باسم المُقيت –سبحانه–

إن المُقيت –جل جلاله– وهو يقدر الأقوات، يقول –سبحانه– في عظمة خزائنه "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ" الحجر:٢١، بقدر معلوم لأنه المُقيت –جل جلاله–.
إنزاله للرزق والقوت للخلق بقدر معلوم ليس عجزًا –تعالى الله–، لكنه تأديب للعباد، أوما سمعتم الله يقول "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ" الشورى:٢٧
يجوع ليذكر الله ويشبع ليشكر الله فسبحان الله المُقيت –سبحانه وتعالى–.

النصير

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله أوقاتكم بالمسرات.
بعث الله نبيه نوحًا –عليه السلام– إلى قومه فاجتهد كأشد ما يجتهد الأنبياء –عليهم السلام– في دعوة أقوامهم وهدايتهم إلى الإيمان بالله –جل جلاله–، مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ما ترك –عليه السلام– سبيلًا ولا منهجًا إلا سلكه، دعا قومه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا فما زادهم ذلك إلا فرارًا كما حكى الله عنه، ولما أيس وتجاوزوا حدهم في الطغيان والتكذيب والأذى والعناد توسل بالنصير –سبحانه–: "فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ" القمر:١٠، "قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" الشعراء١١٧:١١٨، فاستجاب له النصير –سبحانه–، وسخر له جند السماء والأرض فإذ قال الله –عز وجل– "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ" القمر١١:١٢، كان المشهد في نهايته نصرًا عظيمًا لأن النصير تكفل بنبيه –عليه السلام–، قال الله –سبحانه وتعالى–: "فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" العنكبوت١٤:١٥.
"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ * وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً" النساء٤٤:٤٥

في أربع مرات في القرآن الكريم جاءت اسم ربنا –سبحانه وتعالى– النصير، ومع أن النصير صيغة مبالغة بمعنى أن الله كثير النصرة –سبحانه وتعالى– لعباده المؤمنين، فإنها جاءت في القرآن مرتين مقترنة بقوله –سبحانه–: "وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً" النساء:٤٥، "وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً" الفرقان:٣١، وجاءت مرتين مقترنة بالمدح المشتمل على كمال المعنى: "وَنِعْمَ النَّصِيرُ" الأنفال:٤٠، فالله –عز وجل– يتولى نصرة عباده بهذه الصيغة التي تشتمل على المبالغة؛ المبالغة كمًا وكيفًا، فمهما كثر العدو وتنوعت وسائله فيبقى الرب النصير –سبحانه وتعالى– كافيًا عباده أهل الإيمان.

في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا غزى قال داعيًا متوسلاً مستنصرًا بربه النصير –سبحانه وتعالى–: "اللهمَّ أنت عَضُدي ونصيري، بك أحول وبك أصولُ، وبك أقاتلُ "[٢]، إنه يستنزل النصر بهذه الكلمات متوسلًا بهذا الاسم العظيم النصير.
وفي صلح الحديبية لما كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مع سائر الصحابة يعيش صدمة الموقف غير المتوقع، فقد جاءوا محرمين بالعمرة لكن قريشًا تعنتت وأبت، وفرضت في شروط الصلح أن يرجع النبي –عليه الصلاة والسلام– وأصحابه معه ذلك العام ولا يدخلوا مكة، على أن يعودوا بالعمرة في العام القادم، جاء عمر –رضي الله عنه– محاورًا قائلاً: يا رسول الله ألست نبي الله حقًا؟ قال: بلى –صلى الله عليه وسلم–، قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى –صلى الله عليه وسلم–، فقال عمر: فعلام نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ فقال –صلى الله عليه وآله وسلم–: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري.

مع أن اسم النصير –سبحانه وتعالى– ما جاء إلا في تلك المرات الأربعة في القرآن الكريم، إلا أنه جاء بالمصدر منسوبًا إلى الله وبالفعل الذي يحمل أيضًا معنى النصرة التي يتكفل الله –عز وجل– بها لعباده: "وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"

[٢] أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي

الروم٤:٥، قد يتبادر إلى الذهن أن النصرة هنا هي النصر على الأعداء لتمكين أهل الإيمان، وتثبيتهم، وكتابة الغلبة لهم على عدوهم، وهزيمة عدوهم في ميادين اللقاء وفي ساحات المعارك وعلى أرض الجهاد، نصرًا تتم به الفتوحات ويُؤسر به العدو، ويُغنم ما معه من سلاح ومال وعتاد، وهذا صحيح، لكن انحصار النصرة في هذا المعنى تضييق لمعنىً أوسع من ذلك بكثير، ألا إن نصرة الله –عز وجل– لعباده تكون بتثبيت أقدامهم على مرضاته، على طاعته، بالثبات على الحق وعدم التزحزح أو التراجع أو الانعكاف للباطل أو الاستجابة لمطالب الطغاة والمكذبين لله ورسله المحاربين لدينه وأوليائه.

نعم فثبات المؤمن على إيمانه وتثبيت الله –عز وجل– له نصر كريم من رب نصير –سبحانه وتعالى–.

"قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" البروج:٤، وحكى القرآن ذلك المشهد في إبادتهم وحرقهم عن آخرهم فما بقي منهم أحد لكن الله قال: "ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ" البروج:١١، كان فوزًا، والمحرقة التي كانت رغم ثباتهم على الحق وإيمانهم وعدم استجابتهم لضغوط الكفر والباطل كانت نصرًا مؤزرًا، النصير –سبحانه– يلهم النفوس المؤمنة ثباتًا الحق.

النصير –سبحانه وتعالى– يجعل العبد مهما كانت أوضاعه في ضعفٍ وظروفه في تراجعٍ يجعله بثباته وقوته التي يمده بها –سبحانه وتعالى– أكثر قوة فينتصر، ينتصر أولًا على نفسه الأمارة بالسوء، على الهوى الذي ينازعه في داخله، على الباطل الذي يرواده، على شيطانه الذي يؤزه نحو المعاصي والمنكرات أزًا.

ينتصر إذا ثبت على الحق فكانت صولة على شيطانه وهواه ونفسه الأمارة بالسوء. ينتصر عندئذٍ على العداء في ميادين اللقاء وتكون الكلمة لله وترفع راية الإسلام خفاقة.

النصر صور شتى والالتجاء إلى رب نصير مع استشعار هذا المعنى، والتوسل به في الدعاء واستنزال النصر من الله –عز وجل– بأعلى مراتبه وبأوسع مفاهيمه، يكتب لأهل الإيمان حياة ملؤها السعادة والثقة والثبات المنطلق من تعظيم لرب عظيم نصير –سبحانه وتعالى–.

الوارث

مرحبا بكم أيها الكرام، تَحكي كُتُبُ التاريخِ والسير أن الخليفة هارون الرشيد –رحمة الله عليه– خرج يومًا في رحلة صيد فمر على رجلٍ يُقال له بُهلول قد اعتزل الناس وعاش وحيدا فقال: عظني يا بُهلول. قال له: أين آباؤك وأجدادُك من لدُن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى أبيك؟ قال هارون: قد ماتوا. قال: فأين قصورُهم؟ قال: تلك قصورُهم. قال: فأين قبورُهم؟ قال: هذه قبورُهم. قال بُهلول: تلك قصورُهم، وهذه قبورهم، فما نفعتهم قصورُهم في قبورهم. قال هارون الرشيد: صدقت، زدني. قال له بُهلول: قُصُورك في الدنيا واسعة، فليت قبرك بعد الموتِ يَتَّسِعُ. فبكى هارون –رحمه الله– وقال: زدني. قال له بُهلول: قد ولاك الله، فلا يراك في تقصيرٍ أو تفريط. فزاد بكاء هارون الرشيد –رحمه الله– وقال: زدني. فقال له بُهلول: هب أنك ملكت كنوزَ كسرى، وعُمِّرْتَ السنينَ، فكان ماذا! أليس القبرُ غايةُ كلِ حيٍ، ويُسألُ بعدهُ عن كلِ هذا؟ قال: أجل. ثم بكى وزاد بكاؤه، قيل فقطع رحلةَ صيدهِ تلكَ وعاد ثم لزم الفراشَ مريضًا حتى وافته المنية.

وصدق الله "إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ" مريم:٤٠

"وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ" مريم٣٩:٤٠

لم يأتِ اسمُ الوارثِ –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع، في مثل قولِهِ –تعالى–: "وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ" الحجر:٢٣

وفي قوله –سبحانه وتعالى–: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ" القصص:٥٨

وقولُ اللهِ –سبحانه وتعالى– في دعاءِ زكريا –عليه السلام– "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ" الأنبياء:.٨٩

الوارث: الباقي بعد فناءِ الخلقِ –سبحانه وتعالى–، فيرثُ السماواتِ والأرض بعد فناءِ أهلهَا، وينتهي إليهِ وحدَهُ –جلَّ جلاله– المِلْكُ أكملهُ مطلقًا. "إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا" قال الطبريُ –رحمه اللهُ تعالى–: وذلك بأن نُميتَ كلَ حيٍ فلا يبقى سوانَا إذا جاء ذلكَ الأجل.
وقال الزجاجُ –رحمه الله–: كُلُ باقٍ بعد ذاهبٍ فهو وارث.

اللهُ –عزَّ وجلَّ– الوارث، وهذا الاسمُ الكريم يدل على بقائه –سبحانه–، وعلى دَيمومَتْه وعلى قَيُّومِيَتِهِ –جلَّ في علاه–، فهو –سبحانه– باقٍ بعد فناء الخلقِ وزوالهم، من في السماوات ومن في الأرض، وهو –سبحانه– خيرُ الوارثين، فيرثُ الأرضَ ومن عليها ولا يبقى في مِلْكِ ما كان في الظاهرِ مِلْكًا للعباد إلا لهُ –سبحانه– وحدهُ لا شريكَ لهُ. ربُنا خيرُ الوارثين، وهو –سبحانه وتعالى– يرثُ الأرضَ ومن عليها، وإليهِ وحدَهُ –سبحانه وتعالى– كُلُهُم يرجعون.

لَمَّا تَوَعَّد فرعونُ وأرْعَدَ وأرغد وأزبد وجعل يُلاحقُ موسى –عليه السلام– والفئةَ المؤمنةَ معه "قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" الأعراف:١٢٧. عَمَدَ نبيُ الله الكليم موسى –عليه السلام– إلى زرع الثقةِ في قُلُوبِ أتباعهِ من أهلِ الإيمان، ومَلْءِ صُدورِهِم ثقةً ويقينًا وتفويضًا إلى الله – جَلَّ جلاله– "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ" الأعراف:١٢٨

إنَّ معنى الوارث: الذي يَمنَحُ النُفوسَ المؤمنةَ ثقةً وطمأنينةً ورُكُونًا إلى اللهِ، واستعانةً بنصرِهِ وقوتِهِ ومُلْكِهِ وغناه –سبحانه وتعالى–، أما إنهُ من المفاهيم التي تستدعى تصحيحًا في ضوءِ ما نَفهمُهُ ونُؤمنُ بهِ من أسماء ربِّنا الحُسنى وصفاتِهِ العُلى؛ أن نُدْرِكَ أن مِلْكَنَا يا بَني آدم لما مَلَّكَنَا اللهُ إياهُ في هذه الحياة، مِلْكٌ ليس يعتريهِ إلا النقصُ والزوالُ لأنه ليس مِلكًا حقيقيا. أو ما سمعتم ربنا يقول: "وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ" الحديد:٧، فنحن وما نَمْلِكُ في الدنيا إلا مُستخلفونَ عليهِ ولسنا نَمْلِكُهُ على الحقيقة؛ بل المَالكُ حقًّا هو الله.

وأما تصرفاتُنا في الحياة فَمِلكٌ لحظيٌ مؤقتٌ ناقص، ناقصٌ من حيث الكم، فمهما اتسع إلا أنه محدودٌ في حدودِ ما مَنَحَ اللهُ ووهب، ناقصٌ من حيثُ القدرة أيضًا على التصرفِ والاستعمال قدرًا وشرعا، ثُمَّ هو لحظيٌ مآلُهُ إلى الزوال، وانتقاله إلى الورثَة.

أو ما أدركنا أن الوارث –سبحانه– مالكٌ على الحقيقةِ مُلكًا ومِلكًا لا يَتغيرُ ولا يَزولُ ولا ينتهي، فهو المِلكُ الحقيقي. عندما تُؤمنُ النفوسُ بمعنى اسم الوارث –سبحانه وتعالى– تَستلهمُ، تسألُ، تَطلبُ من ربِّها الوارث –سبحانه– ما شاءت من حاجاتها من مقاصدها من رغباتها في هذه الدنيا وفي الآخرة، أمَّا الآخرة فالمطلبُ الأعظمُ الذي يَرِثُهُ العبادُ من ربهمُ الوراث –سبحانه وتعالى– "تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا" مريم:٦٣.

أمَّا الفردوس فقد قال اللهُ –سبحانه وتعالى– وهو يذكرُ صفات أهلها من المؤمنينَ أربابِ الفلاح قال: "أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" المؤمنون١٠:١١.

فاسألوا الله الوارث أن يُبوّئنا وإياكم ووالدينا ووالديكم وذرياتنا والمسلمين أجمعين منازل الفردوس بفضله وكرمه العظيم.